كريشنا

قصة بقلم احمد سويد

مسح « كريشنا » عرق جبينه بظاهر كفه الناحل ، النافر العظام ،ورنا بضيق وتأفف نحو الشمس التي كانت تصب لهبها على « كلكتا » بقسوة غير مألوفة ، حتى ليخيل اليه ان قشرة الطريق وحجارة الارصفة تكاد تسيح تحت وطأة القيظ ، وتتحول الى جداول من صلصال اسود ، تتدافع ببطء وخمول ، لتنصب بصمت ثقيل في « الكانج » المقدس الذي يربض عند اقدام المدينة المحمومة كثعبان اسطوري هائل .

وهم « كريشنا » ان يستجير بمظلة عربته القابعة امامه ، علها تدفع عنه بعض الجور السماوي ، ولكنه تذكر ان ذلك ليس من حقه ، فقد يمر زبون في اللحظة التي يكون هو فيها تحت المظلة فيحسبه غير راغب في العمل ، او يحسبه راكبا ينتظر فوق العربة جوادها الغائب .

... وضحك بمرارة من بلاهة الخاطرة الاخيرة ، وتدحرجت نظراته على صدره العاري ، وتوقفت عند اخاديده العميقة ، ثم تمتم بسخرية:

ـ وكيف يمكن ان يحسبني راكبا ما دام سيقرأ على صدري ، مثل هذا الاعلان الصارخ ، الذي ينبه المارة في كل لحظة الى انهم امام حيوان طريف من حيوانات الجر ؟

وكاد يطلق لسانه في احتجاج شديد اللهجة على الالهة القاسية التي اختارت له هذا الدور المهين في الحياة ، ولكن ارادة الاحتجاج سرعان ما غارت في اعماقه وطفا فوقها احساس اشبه ما يكون باحساس الاثم ، عندما فوجيء بعينين واسعتين ترنوان اليه بشرود وذبول ممزوجين بشيء كأنه التقريع ، او الحض على طلب الغفران .

لقد وقفت البقرة امامه للحظات ثم تابعت سيرها ، وهي تسحب هيكلها الهزيل سحبا ، فراح هو يتتبعها ببصره ، وينقل طرفه بين اضلاعها النافرة واضلاعه ..

انها بلا شك جائعة مثله ، وجوعها مزمن كجوعه ، ولكنها اوفر منه حظا في كل حال ، لانها مقدسة ، ولسوف تجد حتما من يكرمها بشيء ... تلتهمه على عجل ، ثم تجرجر قوائمها الى اقرب شجرة ، فتستلقي في ظلها ، وتروح تجتر ما التهمت وتمعن في مضغه حتى ليغدو بين طواحنها حفنة من هواء ، وذكرى للحظة غالية من لحظات الشبع .

اما هو ، فما زال منذ الساعات الاولى من الصباح مقرفصا في زاويته ينتظر الرزق بلا جدوى ، وفي ذهنه صورة تعذبه بلا رحمة ، وتجلده بلا شفقة ، صورة لافواه سبعة تركها في الكوخ فاغرة مفتوحة ، ويكاد الان يسمع نداءها وهي تستعجله العودة بما فتحته الالهة عليه ، ولكنه لا يجرؤ على العودة لان الالهة لم يطب لها ان تتكرم عليه اليوم بشيء ، وهو لا يستطيع ان يسألها عن السبب.. فالآلهة لا تناقش ولا تحاسب لانها الهة ، ولا يعنيها في شيء ان يجوع الفقراء وان يموت اطفالهم وان...

... وارتعش كريشنا من الرهبة ، فقد زلق به الفكر بعيدا ، كما بدا له حتى القاه عند حدود التجديف والزندقة ، فضم راحتيه بخشوع صوفي واحنى رأسه بمذلة كأنه يحاول ان يعتذر عن الهفوة ، ولكنه مع ذلك ، لم يستطع ان يصد تساؤلا وقحا كان يقف على عتبة خاطرة :

ـ ترى ... ماذا كان يضير الآلهة لو بعثت لي راكبا ، راكبا واحدا فقط ، كزبون البارحة ؟

صحيح ان زبون البارحة كان عبارة عن قنطار من الشحم والفلاظة .

وصحيح ان قنطار الشحم والفلاظة ذاك لم يرحمه حين ظل يستحثه بالحاح لاسع كالكرباج ، كيلا يضيع عليه موعده الضروري .

وصحيح ان الراكب الثقيل مادة وروحا ، لم يلتفت اليه حين ترجل من العربة ولم يره وهو غارق في العرق واللهاث ، الا انه ، وهذا هو المهم ، لم يساومه على الاجر كاكثرية الزبائن ، بل القى اليه بثلاث روبيات دفعة واحدة ومضى يتدحرج الى غايته .

ليتدحرج حضرة الزبون انى شاء .

ليتدحرج الى جهنم الحمراء ، وليلقه اله الشر في سعيرها المتأجج فالروبيات الثلاث قد اصبحت في قبضة كريشنا ومن حقه بعد ساعة طويلة من الركض اللاهث المرهق ان ينعم بقليل من الفات .

ومال الى حانوت قريب ، فاشترى مضغة ، وتابع طريقه الى الموقف وهو يحلم بتوصيلة اخرى موفقة ، ولم يكن ينغص عليه متعة الامل سوى وخز متقطع في اعلى الصدر ، يحس به لاول مرة ، ويخيل اليه معه كأن يدا مجهولة تنكزه بحربة ، وصوتا له رائحة الادغال البعيدة ينذره :

ـ مسكين يا كريشنا ، لقد عجزت ، ولم تعد تصلح للخدمة .

ـ انا عجزت ؟

... ويهب كريشنا يريد ان ينفي عنه التهمة ، فيحدق في ساعديه ، في عروقهما النافرة الصلبة كسفافيد حديدية تتدثر بجلده الاسمر المحروق ، ثم ينزلق ببصره فيتأمل عروق ساقيه التي تكاد هي الاخرى تشق غلافها الجلدي امعانا منها في التحدي .

... وينهد الى العربة فيقطرها الى كتفيه ، ويقرر فيما بينه وبين نفسه ان يكون مدى الشوط ، شوط التجربة ، تلك المسافة التي تفصل بين معبد « كالي » والنهر المقدس ، وان يقطع هذه المسافة كلها عدوا، ودونما توقف .

... ويهم بالانطلاق ، ولكنه يبصر سيده على خطوات قليلة منه . شقرتها تعلن انها اجنبية ،وخطوتها السريعة تشي بأنها على عجل .

من يدري ... قد يكون الحر هو الذي يسوطها بغلظة ، وقد يكون هناك موعد ضروري يستحث خطاها .

ولكن ماله ولهذا الفضول ، فكلا الامرين لا يعنيه وكل ما يعنيه ان يجتذبها الى عربته :

ـ توصيلة يا سيدتي ؟ عربة مريحة ، وزنود قوية ، وسرعة كسرعة الحصان .

... وكان يترجم دعوته هذه الى حركات معبرة ، يحاول ان يضفي عليها شيئا من خفة الدم ، ولكن السيدة لم تتوقف ، وبدا عليها كأنها لم تره ، ولم تسمع صوته المطعم بنكهة الابتهال ، فعاد الى مربضه ،يلاحقها بنظرة كسيرة ، كاد يشبعها حقدا وشتيمة لولا شفاعة ذلك الشال الطويل من العطر الذي تركته يتساحب وراءها ، ليحمل الى نفسه موجة خفيفة من الغثيان اللذيذ ، والنشوة الروحية الغامضة .

وعندما توارت ، ارتد الى قوقعته النفسية المظلمة وعاوده ضجره الثقيل فاطلق بصره ، يهيم فوق الطريق الطويل الممتد ، ويتسكع على الارصفة الصامتة المقفرة ، ويتمرغ على ابواب الحوانيت المشرعة للتثاؤب والخواء والذباب ، ويطيل الوقوف عند ناصية الشارع امام كومة من الجماجم البشرية تتحدى ، هي والشيخ الجاثم بجانبها ،غضب السماء ونقمة الشمس واعراف الناس .

هذه الجماجم هي آلة الكسب عند « بهادور » يحملها كل صباح في بقايا كيس من الخيش ، ثم يربض عند ناصية الشارع ، ويصفها امامه لولا ومضات نارية تنبعث من محجريه العميقين كفارين للثعالب ، ولولا حبات من العرق تكرج بين الفينة والفينة عن جبينه ، لتضيع في لحية

الثقب

يا من اكلوا قمحة عمري
يا كتبي العابسة العجفاء
لو القى ثقبا من ابره
لو امسكت حينا في هذا الثقب
فالدنيا قد ضاقت حتى اني لا اتنفس
حتى اني لا اتحرك
من خلف او من قدام
لو تخطو اقدامي .. اتجاوز هذي الدنيا
اهوي في جب ليس له قاع
فحياتي موضع اقدامي
وحدودي تلك الاظفار العشرون
.. امشي لكن الخطو الآتي فوق الخطو السابق
اتحرك لكن لا اعدو الظفر
واحدق لكن لا ابصر شيئا
وببطء ينمو في نفسي عشب اسود
ويظل يحاصر ايامي
حتى تتوارى في اوراقه
حتى لا يبدو شيء منها

* ● *

يا ذات العينين السمراوين
يا من صحبتني في الرحله
يا خمس سنين في طفل اخضر
يا من غمسوا في ملحي لقمتهم
يا مئذنة تتآكل قرب الشرفه
يا ديوانا من شعر لم يكتب بعد
يا وجها يتبعني مشجوج الجبهه
يا جسم الحزن المطوط السباقين
يا شيئا لا يبدو في الكلمات
.. يا كل العلم من خلف الخطو الجامد
من بعد ذراعي ممتدا
من بعد جفوني المهترئه
والظفر اليابس بعد الظفر
... اني قد حوصرت اليوم
بالبوم الجاثم فوق الفجر
والفأر الآكل من قرص الشمس
والغربان الجائعة المنقار !!

* ● *

فاذا ما ناديتم فجناحي لن يتحرك
مصباح ضلوعي لن يتواثب
ثمري مر لا يشبع
وانا لا اطمع حتى في ثقب الابره
لأعيش به من ضيق العالم
.. فالعالم قد شد الابواب
قد حط الاقفال عليها
استوثق من كل الشرفات
ومضى من غير النظرة في وجهي
من غير الثقب الضيق

القاهرة

عبده بدوي

عجيبة النمو ، واسعة المجاهل .

وينذر « بهادور » الصمت ، وتتكلم جماجمه : تخطب في السابلة ، تذكرهم بالمصير المحتوم الذي لا يعصمهم منه لا مال ولا بنون ، وتدعوهم لان يبسطوا ايديهم قليلا فلبهادور وامثاله حق معلوم فيما يدخرون ويجمعون .

ويسارع من يفهم الخطبة الصامتة ، فيلقي للشيخ بما تيسر .

ويبتسم كريشنا ابتسامة صفراء : لم لا يتعلم الصبر من « بهادور » هو مثله لم يستفتح اليوم بشيء ، لم يفهم احد خطبة جماجمه ... ولكنه مع ذلك لا يبدو برما بالحياة ، قلقا من شحة الرزق ، قليل الثقة برحمة الآلهة .

وشعر كريشنا بشيء من العزاء والخجل في آن واحد ، وكادت تستيقظ فيه نوازع التقشف والقناعة والتسليم المطلق للغيب ، لولا ان لاح له ، على بعد قليل ، كهل اشيب ، يحمل حقيبته التي يبدو انها كانت من الثقل بحيث اثقلت خطوته ، وشدت احد كتفيه الى اسفل ، وشالت الاخر الى اعلى .

وتحفز كريشنا ككلب صيد عريق السلالة ، ثم لمظ ومسح شفتيه بلسانه ووثب بخفة السنجاب نحو الطريدة :

ـ انا في خدمتك يا سيدي ، التوصيلة بروبية واحدة ، بنصف روبية بما تجود به نفسك .

وكاد يصرخ بـ « لا شيء » عندما رأى « بهراجا » يقف بعربته عند الرصيف المقابل ، ويشد لجام كديشه الاشهب الذي لا ينفك يباهي به ، ويعتبره حصانا نبيل الاروماة قد تنتهي به سلسلة نسبه الكريم الى الجد الاول لكل الاصائل .

توقف الكهل الغريب ، وأراح ساعده من عبء الحقيبة ، ثم راح ينقل طرفه بين العربتين .

ولم يكن بحاجة الى وقت طويل لكي يتخذ قراره .

* * *

وفي اللحظة التي استقر فيها الزبون في عربة بهراجا ودغدغ كفلي الكديش كرباج رحوم هو اشارة الانطلاق ، كان كريشنا يقف جامدا فاغر الفم ، يداري دمعة تحاول ان تتمرد ، ويضيق صدره بثورة تهز بعنف كيانه الداخلي كله ، ويتمنى لو يطلقها حرابا مسمومة تزرع صدر منافسه اللعين وتحصد قوائمه أو صاعقة يمحق بها كل ما في الدنيا من حيوانات تجر العربات .

احمد سويد